النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٨٨/٢
الأحد ١١ كانون الثاني
الأحد الذي بعد عيد الظهور الإلهي
أبينا البار ثاودوسيوس
رئيس الأديرة
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثامن

الـــرســـالـــة (أفـــســـس ٤ : ٧ – ١٣)
الإنـــجـــيـــل (مـــتـــى ٤ : ١٢ – ١٧)

+ القديس أنطونيوس الكبير

ألّف القديس أثناسيوس الكبير، بطريرك الإسكندرية، كتابه ''حياة أنطونيوس''، بعـــد فترة قصيرة من موت الراهب أنطونيوس، أي حوالي عـــام ٣٦٥. القديـــس غريغوريـــوس اللاهوتي أكد، عام ٣٨٠، أصالة الكتاب، بقوله إنّ أثناسيوس ''كتب سيرة أنطونيوس الإلـــهي كقاعدة رهبانية في شكل قصة''. وتظهر مقدمة الكتاب أن الأب الإســـكندري وجّهـــه الـــى رهبان طلبوا منه إخبارهم حياة المغبوط أنطونيوس، بهدف الإقتداء به، واتخاذ سيرته قـــاعدة في النسك. ويرجّح الدارسون ان يكون هؤلاء رهباناً غربيين، لما يذكـــره اثناســـيوس مـــن اضطراره الى إنجاز الكتاب قبل زمن إبحار حامل الرسالة. والمعروف ان الإسكندرية كانت أهم نقطةٍ لانطلاق الرحلات البحرية من الشرق الى روما في ذلك الزمـــن. ويعـــزّز هـــذه الفرضية إشارة اثناسيوس، في آخر الكتاب، الى بلوغ شهرة أنطونيوس أسبانيا، وبلاد الغال،

وروما، وأفريقيا، فضلاً عن العلاقات القوية التي ربطت البطريـــرك الإســكندري بكنيســة الغرب، لا سيما بسبب نفيه الى تريفي في إيطاليا بين عامي ٣٣٦ و ٣٣٧، وقضائه الفـــترة الممتدة بين ٣٣٩ و٣٤٥ في روما.

ما هي المصادر التي اعتمد عليها اثناسيوس في كتابة سيرة أنطونيوس؟

يشير بطريرك الإسكندرية في مقدمة كتابه الى معرفته الشخصية بأنطونيوس، والـــى التقائه به مرات عديدة، ويذكر أن مصدر بعض ما سيكتبه هو ما يتذكّره بنفسه. لكنه يضيف انه سيستند الى مصدر آخر، هو ما رواه له ''ذاك الذي كان رفيقاً للراهب انطونيوس ردحاً طويلاً من الزمن، وكان يسكب الماء على يديه''. يختلف الدارسون في هوية هذا الرفيق لكن معظمهم ميّال الى الإعتقاد ان المقصود هو سيرابيون أسقف طوميس، الذي كان راهباً فـــترة طويلة، وصديقاً حميماً لأنطونيوس، كما تشهد السيرة نفسها.

ولد القديس انطونيوس، بحسب السيرة حوالي عام ٢٥١، في قرية مصرية في وادي النيل. وكان يتردد منذ الصغر مع عائلته المسيحية على الكنيسة، مصغياً بدقة الى القراءات الإنجيلية. واللافت للنظر، ان بعض هذه القراءات سيحدّد مجرى حياته، إذ بعد موت والديه، وإثر سماعه في الكنيسة الآية الإنجيلية التالية: ''إن أردت ان تكون كاملاً ، إذهب وبعْ كـــلّ أملاكك، و أعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني'' (مت ١٩: ٢١)، قرر بيع كل ما ورثه عن والديه، وتوزيعه على الفقراء، ولم يبق إلا مقداراً صغيراً لأخته التي كـــان يتعهد تربيتها. بعد زمان قصير، وإثر سماعه آية أخرى: ''لا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه'' (مت ٦: ٣٤)، عهد أنطونيوس بإخته الى نسوة تقيّات، وقرر اعتناق حياة النسك. لم يكن انطونيوس الراهب الأول، فالقديس اثناسيوس يشير الى وجود عدد من النساك في القرى المجاورة ، كانوا يمارسون حياة الصلاة والصوم. وقد تتلمذ انطونيوس على واحد منهم، ثم عاش مدة قصيرة في تابوت، انتقل بعدها الى الضفة الأخرى للنيل، حيث عاش عشرين ســنة في حصن مهجور. أخيراً، حطت به الرحال في جبل بسبير (دير الميمون حالياً) في صحراء شرق النيل، حيث تحلّق حوله عدد من التلاميذ ، طالبين الإقتداء به. يشير اثناســيوس الـــى انتقاله بعد ذلك الى الإسكندرية، خلال اضطهاد مكسيميان دايا (٣١١) ، بغية تشديد الشهداء، والى تمنّية ان يستشهد بدوره. بعد عودته الى الصحراء، وبسبب كثرة الزوّار، انتقـــل الـــى الجزء الشرقي من صحراء العربية ، الى منطقة جبلية تدعى قلزون، يسمّيها اثناسيوس الجبل الداخلي. ويحدّد التقليد الكنسي منسك القديس انطونيوس خلال هذه الفـــترة فـــي المنطقـــة المعروفة حالياً بوادي العرب، والتي تبعد حوالي عشرين ميلاً عن البحر الأحمر، حيث يوجد

حالياً دير الأنبا أنطونيوس القبطي. من هنا، كان انطونيوس يعود أحياناً الى بسبير، ''الجبل الخارجي'' ، لافتقاد تلاميذه.

تصوّر السيرة حياة انطونيوس صراعاً دائماً مع الشياطين، وتشير الى انتصاره عليها بمعونة السيّد. كذلك تمعن في وصف المواهب التي أغدقها الله عليه، كنعمة الأشفية، وتمييز الأرواح ، ومعرفة المستقبل. يظهر انطونيوس أيضاً أميناً لتعليم الكنيسة القويم، ومحذّراً من خطر البدعة الآريوسية . ويستعمل اثناسيوس في وصفه حياة انطونيوس صور شخصياتٍ كثيرة من العهد القديم مثل موسى ، وصموئيل، وايليا، وأليشع، وأيوّب. ولكن الإقتداء بيسوع يبقى المحرّك الأساسي لحياة انطونيوس ، فهو الذي كان يهبه القوة في صراعه مع الشياطين، ويصنع الأعاجيب بواسطته. اما انطونيوس فيظهر، على مثال يسوع ، خاضعاً لوالديه أثناء الطفولة (لو ٢: ٥٠)، ومجرِّباً في البرية على يد الشياطين (مر ١: ١٣).

عرف كتاب ''حياة انطونيوس''، لكونه أول سيرة رهبنية في الأدب المسيحي، رواجاً واسعاً، فترجم الى اللاتينية بعيد موت اثناسيوس، ثم الى لغات أخرى عدة، حتى اننا نكاد نعثر عليه في كل مكتبة رهبانية. وقد صار نموذجاً لسير متوحدين ورهبان كثر. فالقديس إيرونيموس، مثلاً، يستوحي ''حياة انطونيوس'' في كتابة سيرة بولس الثيبي، اما القديس يوحنا الدمشقي فيستشهد به مراراً، مستعملاً أحياناً جملا كاملة منه. وقد عرفت سيرة انطونيوس انتشاراً كبيراً في الغرب، وألهمت العديد من الرسّامين في القرون الوسطى. هذه الشهرة الواسعة التي حظي بها القديس المستوحد بفضل كتاب سيرته أدّت الى اعتباره أباً للرهبان في العالم المسيحي بأسره.

+ تـــأمـــل

المجد للسيد لأنه أعطانا المقدرة على التوبة، فبالتوبة نخلص كلنا بدون استثناء. أما الذين لا يريدون ان يتوبوا فأولئك لا يخلصون: وفي هذا العمل أرى يأسهم وأبكي كثيراً شفقة عليهم. هؤلاء لم يعرفوا بالروح القدس كم هي رأفات الله عظيمة علينا. لكن اذا عرفت كل نفس السيد، وعرفت كم يحبّنا، فلن يوجد من ييأس أبداً ولا من يتذمر قطعياً.

كل نفس فقدت سلامها عليها ان تتوب، والسيد سيغفر لها خطاياها. هكذا يملك السلام والفرح مجدداً في النفس. ولسنا بحاجة الى شاهد آخر لأن الروح القدس عينه سيشهد بأن الخطايا غُفرت. هاكم علاقة لكم ان خطاياكم قد غُفرت: إذا كرهت الخطيئة، فهذا يعني ان السيد قد غفر لك خطاياك.

وماذا ننتظر أكثر؟ ان يرتّل لنا من العلى ترتيلة سماوية؟ لكن كل من في السماء يعيشون بالروح القدس، والسيد أعطانا الروح القدس ''عينه'' على الأرض. إن القداس الإلهي يقام ويتمّم في الكنائس بفعل الروح القدس. في الصحاري وعلى الجبال، في المغاور وفي كل مكان، يحيا نسّاك المسيح بالروح القدس، فإذا حفظناه وحافظنا عليه، فإننا سنكون أحراراً من كل الظلمات، والحياة الأبدية ستحل في نفوسنا من هنا، بدءاً من هذه الأرض.

إذا تاب جميع البشر وحفظوا الوصايا الإلهية فستحل السماء على الأرض، لأن ''ملكوت الله في داخلكم''. إن ملكوت الله هو الروح القدس، والروح القدس هو هو، في السماء وعلى الأرض.

أما الذين يتوبون فسيمنحهم السيد السماء والملك الأبدي، ويعطيهم ذاته أيضاً. وفي عظيم رحمته، لن يتذكر خطايانا، كما لم يتذكر خطايا اللص الذي صُلب بجانبه.

يا سيّد، عظيمة هي مراحمك ونحن لا نستطيع ان نسبّحك ونشكرك كما يليق ، لأنك اعطيتنا الروح القدس على هذه الأرض.

يا سيّد عظيم هو عدلك. انت وعدت رسلك قائلاً: ''لن أترككم يتامى''. والآن، نحن بالحقيقة نختبر هذه الرأفة، وروحنا تشعر بأن السيّد يحبّنا. لكن الذين لا يشعرون بهذا، فعليهم ان يتوبوا وان يحيوا بحسب المشيئة الإلهية، هكذا سيمنحهم السيد نعمته التي تقود نفوسهم. لكن إذا رأيت إنساناً يرتكب خطيئة ولم تشعر بالشفقة عليه، فإن النعمة ستتخلى عنك.

لقد أوصانا السيد بأن نحب، فحب المسيح يشفق على كل البشر. والروح القدس يفقّه النفس لكي تحفظ الوصايا الإلهية، وتمنح القوة لإتمام الخير... يا أيها الروح القدس، لا تتركنا! فعندما تكون معنا، تحسّ الروح بحضورك وتجد راحتها في إلهها، لأنك أنت تلهب بمحبة الله.

ان السيد أحب البشر لدرجة انه قدّسهم بالروح القدس وجعلهم مشابهين له. ان السيد رحوم، وفعل الروح القدس فينا يجعلنا رحومين مثله. يا أخوة، لنتّضع ونتذلّل فنربح بالتوبة قلباً شفوقاً. وهكذا فإننا سنعاين مجد السيد وبنعمة الروح القدس وعطيّته تعرفه الروح والعقل أيضاً.

ان الذي يتوب بالحقيقة يصير مستعداً لتحمل جميع أنواع الشدائد والعذابات: الجوع والعري، البرد والحرّ، المرض والفقر، التعييرات والإضطهادات ، الظلم والافتراءات، لأن روحه تمتد وتمتد الى السيد 'بصلاة نقيّة''، معرضة عما هو على الأرض. لكن الإنسان المتعلق بممتلكاته وبخيراته وبالمال فلن يمتلك ابداً ''العقل النقي'' في الله لأن نفسه تكون

مشغولة دوماً بتلك الإهتمامات ومتسائلة: ماذا أفعل بهذا المال ؟ وإذا لم يتب بصـــدق ولــم ينتحب لأنه أغضب الله، فإنه سيموت في شهواته دون ان يكون قد عرف السيد بعد.

عندما يطلبون او يأخذون منك ما عندك، فأعطهم إيّاه، لأن الحب الإلهي لا يســـتطيع ان يرفض شيئاً لأحد، أما الذي لم يعرف الحب فلا يمكنه ان يكون رحوماً، لأن فرح الـــروح القدس غير موجود في نفسه.

إذا كان السيد بآلامه على الأرض قد أعطانا الروح القدس الـــذي مــن عنــد الآب، وأعطانا جسده ودمه، فمن المحتم أيضاً ان يمنحنا كل ما تبقى وكل ما نحـــن بحاجـــة اليـــه. فلنسلم ذواتنا للمشيئة الإلهية، وهكذا نجد ان العناية الإلهية والسيد سيعطياننا ما لسنا ننتظـــر. لكن الذي لا يسلم ذاته للمشيئة الإلهية، فإنه لن يرى عناية الله بشأننا قطعياً.

القديس سلوان الآثوسي